



إذا عرف السبب بطل العجب.

كنت قد نشرت قبل أسبوعين مقالاً باللغة الانكليزية ذكرت فيه لماذا على الأميركيين إعادة انتخاب (أوباما) وعدم التصويت (روماني)؟.

وبعد يوم من الانتخابات راسلني أحد أصدقائي الأميركيين الذين يعملون في الجهاز التدريسي في إحدى كليات هيوستن مازحاً: لقد قرأ الأميركيون مقالك وعملوا بنصيحتك.

لم أكتب مقالاً ليوم لأخوض في الأسباب السياسية والاقتصادية والعسكرية التي حسمت نتيجة الانتخابات بالصورة التي رأيناها، فقد فعلت ذلك في مقالٍ سابقٍ ذكر.

أما مقال اليوم فهو، من عنوانه، لذكر السبب الذي دفع الأميركيين ذوي الأغلبية البيضاء إلى حسم أمرهم واختيار رجل نصف أبيض - نصف أسود على رجل أبيض صافي البياض ومرتين.

وبالرغم من أن هذا المقال قد يبدو من مفرداته عنصرياً، ولكن يخطئ الكثرون حين يظنون أن المجتمع الأميركي وبالرغم من كل تحرره وتطوره قد تحرر كلياً من تلك الآفة التي تدعى العنصرية.

كانت قد جرت قبل الانتخابات التي انتهت الأسبوع الماضي تصفيات لاختيار المرشح الأقوى للحزب الجمهوري ليتحدى الرئيس الديمقراطي (أوباما) الذي مازالت تحق له ولاية أربع سنوات ثانية.

وقد فاز بتلك التصفيات الحاكم السابق لولاية (ماساشوسيتس) العريقة (مت رومني) على كافة منافسيه الجمهوريين الذين كانوا حوالي العشرة.

وقد فاز عليهم لا لأنه كان بالضرورة أقوى منهم، ولكن لأنهم كانوا بالتأكيد أضعف منه، فقد كان لكل واحد منهم قصة أو مشكلة أو فضيحة جعلته إما ينسحب أو يخسر بالتصويت.

وفي اليوم الذي تمكّن فيه (رومни) من هزيمة آخر منافسيه وبات واضحًا أنه قد فاز بترشيح الحزب الجمهوري، تأكدت من خلال حياتي الطويلة هنا في أمريكا أن (أوباما) قد ضمن ولاية ثانية، إلا في حال وحصل شيء كارثي غير متوقع.

وقد أكد لي ذلك الحدس ما كان يقوله الزبائن الذين يتربدون على شركتي والذين هم من كافة الألوان والجنسيات والاتجاهات.

حتى أن أحدهم، وهو أبيض أصلي وليس من عشاق (أوباما)، همس وقتها في أذني قائلاً: راحت على الجمهوريين للمرة الثانية!

السر في هذا الموضوع يعود في الحقيقة إلى ما أسميه بالخطوط الحمراء الغير معلنة للبيت الأبيض.

فالرغم من أن الدستور الأمريكي لا يضع سوى شرطاً واحداً للترشح لمنصب الرئاسة، وهو أن يكون المرشح مواطناً بالولادة، وما غير ذلك من اللون أو الجنس أو الديانة أو الاتجاه السياسي غير ذي أهمية، إلا أن هذا في الواقع كلام نظري بحت.

فهناك على أرض الواقع خطوط حمراء غير معلنة مازالت تحول بين أي بعض الأميركيين والبيت الأبيض.

وهنا يأتي السؤال الأهم: ماذَا فعل (روماني) كي يكون من هذا البعض؟

الجواب ببساطة أنه (مورمون). والمورمونية هي مذهب ديني يصفه أتباعه بأنه أحد مذاهب المسيحية البروتستانتية، أنشأه في بداية القرن التاسع عشر في ولاية (فيرمونت) شخص يدعى (جوزيف سميث) اعتبر نفسه واعتبره أتباعه حينهانبياً يوحى إليه.

تبرأت كافة المذاهب المسيحية الرئيسية من هذه الدعوة بسبب مخالفتها للتسلیم الأساسية وأيضاً لوضعها انحيازاً خاصاً بها، وتم اضطهادها والتضييق عليها، فرحل الرجل مع أتباعه إلى الغرب واختاروا ولاية (يوتا) النائية حينها للعيش بعيداً عن الأضطهاد.

ولكن تم قبولهم فيما بعد ضمن تسييج المجتمع الأميركي المتنوع بعد أن وافقوا على التخلي عن بعض معتقداتهم المخالفة للقانون مثل تعدد الزوجات، وهم يبلغون اليوم حوالي السبعة ملايين حول العالم معظمهم في أمريكا وكندا وأوروبا ولهم كنائسهم الخاصة.

ولكن وبالرغم من قبول هذه الفئة منذ زمن في المجتمع، إلا أن الأميركيين الذين يبلغون حوالي الثلاثمائة مليون نسمة، وغالبيتهم العظمى من الأوربيين البيض البروتستانت، يبدو أنهم قد قرروا أن (المذهب الديني) هو خط أحمر (غير معلن) بالنسبة للبيت الأبيض، وهو أحمر بكثير من خط (لون البشرة) الذي تجاوز (أوباما) مadam الأخير يتبع للأغلبية البروتستانتية. وما جرى هذه الأيام يذكرني بانتخابات عام 2000 حين ترشح عن الحزب الجمهوري حاكم ولاية تكساس حينها (جورج بوش الابن) وعن الحزب الديمقراطي (آل غور) الذي كان يشغل منصب نائب الرئيس المحبوب شعبياً (بل كلينتون) لفترتين متتابعتين.

وقد كانت كافة المؤشرات تؤكد حينها أن (غور) سيفوز بالانتخابات بسبب بسبب وعوده بالاستمرار بسياسات (كلينتون) الاقتصادية التي حققت إنجازات باهرة. ولكن الرجل ارتكب حينها خطأً سياسياً قاتلاً مشابهاً لما حصلاليوم حين اختار السيناتور اليهودي (جو ليبمان) لمنصب نائبه، فحصل حينها أن خسر تلك الانتخابات بالرغم من دعم اللوبي الإسرائيلي القوي له.

وكان ذلك تأكيداً لوجود تلك الخطوط الحمراء الخاصة بالبيت الأبيض والتي لا يمكن حتى لإسرائيل المدللة نفسها تجاوزها. هذا عن الانتخابات الأخيرة، حيث فضل الأميركيون تجاوز الخطوط الحمراء (لون البشرة) على تجاوز تلك الخاصة (بالعقيدة الدينية)، فأبقوا (أوباما) في مكانه.

ولكن ماذَا عن انتخابات عام 2008 حيث كان (أوباما) حينها السيناتور من ولاية (إلينوي) والمرشح الديمقراطي ضد المرشح الجمهوري السيناتور (جون ماكين) من ولاية أريزونا، والأخير هو الأبيض ابن الأبيض والبروتستانتي ابن

البروتستانتي، حتى يحمل وسام بطل حرب، فما الذي جعله يخسر تلك الانتخابات لصالح (أوباما)؟

كانت كافة المؤشرات تؤكد فوز (ماكين) بلا أدني شك، وهذا ماكنت أسمعه أيضاً من الزبائن المترددرين على شركتي حينها، والذين أجمعوا أن على (أوباما) صاحب الأصول الأفريقية الاكتفاء بوصوله إلى ترشيح الحزب الديمقراطي لأول في تاريخ الانتخابات الأمريكية، ولكن عليه أن لا يحلم بالوصول إلى البيت الأبيض.

ولكن حصل حينها مالم يكن متوقعاً وارتكب (ماكين) خطأً سياسياً قاتلاً بدوره حين اختار (سارة بيلين) حاكمة ولاية ألاسكا لمنصب نائبة الرئيس.

وقد همس نفس الشخص الأمريكي إيه في أذني حينها: كنت سأصوت بلا تردد لصالح (ماكين) ولكنه الآن وقد اختار امرأة لمنصب نائبه، فأنا – والكلام مايزال له – لست مستعداً لأن أرى امرأة في البيت الأبيض، وأي (رجل) مهما كان لونه أفضل عندي من أي (امرأة) في هذا المنصب.

وفي الحقيقة فقد كان على (ماكين) أن يتعلم من درس انتخابات عام 1984 حين قام نائب الرئيس السابق (جي米 كارتر) والمرشح الديمقراطي حينها (ولتر مونديل) ولأول مرة في تاريخ الانتخابات الأمريكية باختيار (امرأة) هي عضوة مجلس النواب عن ولاية نيويورك (جيرالدين فيرارو) لمنصب نائبتها، فخسرا خسارة تاريخية أيضاً أمام الرئيس الجمهوري المحبوب شعبياً (رونالد ريغان).

لاشك أن المجتمع الأمريكي قد خطأ خطوات واسعة منذ الاستقلال، حيث جرى العرف أن أي منصب سياسي مهما كان هو مجرد حلم للنساء وأصحاب الأصول الأفريقية واللاتينية والأقليات الدينية.

ثم رأينا كيف وصل هؤلاء تباعاً إلى كافة المناصب من وزراء ونواب وممثلين دوليين، إلا أن البيت الأبيض تحديداً بقي عصياً عليهم في الوقت الراهن على الأقل.

ولولا أن الأميركيين قد وجدوا أنفسهم قبل أربعة سنوات أمام إحتمال وصول (امرأة) إلى الرئاسة، ولو لا أنهم وجدوا أنفسهم الآن أمام (مورموني)، لما انتخبوا (أوباما) حينها ولما أبقوه في الحكماليوم، وإذا عرف السبب بطل العجب.

المصادر: